# دور الإسلام في انتشار اللغة العربية في بلدان السودان الغربي

**د. التجاني مياطه**

**جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي**

tedjani-mayata@univ-eloued.dz

**ملخص:**

إن الدعوة الإسلامية في السودان الغربي كما في غيرها من المناطق الإسلامية ارتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم، والعلوم الإسلامية، ويعد تنشيط الحركة التجارية من العوامل الرئيسية التي أسهمت في اتساع رقعة الإسلام واللغة العربية، وقد احترم مسلمو تلك الأصقاع اللغة العربية احتراما يقرب من التقديس لأنها لغة القرآن الكريم.

وقد انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا في إفريقيا الغربية بدخول الإسلام كما أسلفنا، فحيث حلّ الإسلام حلت اللغة العربية لأنها لسانه وأداته في مخاطبة الآخرين وبها دونت علومه المختلفة.

ويمكن القول أن العلاقات الثقافية بين شعوب القارة شمال الصحراء وجنوبها ثابتة ومتواصلة، رغم كل الظروف والمحاولات، وأن أساليب الاستعمار ودسائسه صارت مفضوحة لا تخفى على أحد وخير عون نقدمه لإفريقيا هو التركيز على تنمية هذه العلاقات الثقافية ونشر اللغة العربية، ولا يكفي ذلك غزوا فكريا بل تعاونا وتضامنا وتبادلا، واهتماما مشتركا عن طريقة الأخذ والعطاء وتبادل الخبرات.

**Summary**

L'appel islamique au Soudan occidental, comme dans d'autres régions islamiques, était associé à la langue arabe du Coran et aux sciences islamiques, la renaissance du mouvement commercial étant l'un des principaux facteurs ayant contribué à l'expansion de l'islam et de la langue arabe. La langue du Coran.

La langue arabe s'est largement répandue en Afrique de l'Ouest avec

l'introduction de l'islam (voir ci-dessus), mais elle a été résolue parce que c'est sa langue et son efficacité à s'adresser aux autres.

On peut dire que les relations culturelles entre les peuples du nord et du sud du Sahara sont constantes et continues, malgré toutes les circonstances et tentatives, et que les méthodes du colonialisme et de ses colporteurs sont devenues claires et incontestables .L'offre d'Aoun à l'Afrique est axée sur le développement de ces relations culturelles et la diffusion de la langue arabe. Coopération, solidarité et échange et un intérêt commun dans la manière de donner, de donner et d'échanger des expériences.

**الكلمات المفتاحية**: القرآن الكريم، اللغة العربية، الإسلام، المجتمع السوداني، إفريقيا جنوب الصحراء.

من الواضح أن الدعوة الإسلامية في السودان الغربي كما في غيرها من المناطق الإسلامية ارتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم، والعلوم الإسلامية، ويعد تنشيط الحركة التجارية من العوامل الرئيسية التي أسهمت في اتساع رقعة الإسلام واللغة العربية، وقد احترم مسلمو تلك الأصقاع اللغة العربية احتراما يقرب من التقديس لأنها لغة القرآن الكريم، وبها يؤدى المسلم صلاته ويتلو القرآن الكريم، وبواسطتها يلم بعلوم الدين[1].

وقد انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا في إفريقيا الغربية بدخول الإسلام كما أسلفنا، فحيث حلّ الإسلام حلت اللغة العربية لأنها لسانه وأدائه في مخاطبة الآخرين وبها دونت علومه المختلفة[2] .

وقد أقبل الإفريقيون على تعلمها إقبالا كبيرا، فهي لغة الدين علاوة على كونها لغة العلم والتاريخ والحضارة، وبها كتب تاريخ إفريقيا، ولم يكن كتب من قبل لأن الإفريقيين لم يكونوا على علم بالكتابة قبل دخول الإسلام والعربية إليهم، وحيث انعدمت الوثائق العربية يحيط تاريخ القارة الغموض[3].

وفي مؤتمر التعليم من أجل إفريقيا قال الدكتور عمر التومي السيستاني: " وتعلم اللغة العربية في إفريقيا بجانب كونه واجبا دينيا على كل مسلم إفريقي، أمر يحتمه تأكيده

أصالة الثقافة الإفريقية والعلاقة الوثيقة بين الثقافة الإفريقية واللغات الإفريقية، وبين الثقافة العربية واللغة العربية والتأثير المتبادل بين الطرفين التوأمين المتكاملين[4].

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على انتشار اللغة العربية إضافة إلى الجانب الديني هي إدعاء معظم أهالي وحكام السودان الغربي كما هو حال معظم المجتمعات الإفريقية المسلمة أنهم ينتسبون إلى أصول عربية شريفة[5].

وكذلك ساعدت على انتشار اللغة العربية هجرات بعض القبائل العربية إلى تلك البلاد واستقرارهم بها، ومن العوامل التي أدت أيضا إلى انتشار اللغة العربية أن أغلب الأئمة المسلمين أفتوا بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم، وعدم جواز قراءته بغير اللغة العربية، ووجوب أداء الصلاة بها، فكان لابد لمن يريد معرفة أحكام الدين وأسراره أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها[6] .

وهكذا أوجدت اللغة العربية في المنطقة تربة خصبة ضربت فيها بجذورها وقد لاحظ الرحالة البرتغالي كادامسوتو cadamosto الذي زار المنطقة أنه يوجد بينهم بعض رجال الدين من الشعب الذي يسمى صنهاجة أو العرب كانوا إضافة إلى دورهم الثقافي مستشارين لملوك السودان في تنفيذ أحكام الشرع[7] .

وقد ساعدت مراكز الثقافة العربية المنتشرة في الشمال الإفريقي مثل فاس، وتلمسان، وبجاية، والجزائر، وتوات، والقيروان، وطرابلس والحجاز والقاهرة، في تأطير تلك الثقافة وبخاصة في مواسم الحج التي تسجل لنا التاريخ الكثير عنها، وعن الأفارقة الذين قصدوا مكة لأداء مناسك الحج والعمرة ومدى رغبتهم في تعلم اللغة العربية،وقام الأفارقة في غرب إفريقيا بتدوين لغاتهم المحلية بالحروف الهجائية العربية مثل لغة الطوارق في الصحراء، وهي لغة الأمازيغ ولغات الفلان والهوسا، وقد دونت بهاتين اللغتين مخطوطات كثيرة مكتوبة بالحرف والخط العربي[8].

كما تأثرت طريقة الكتابة عند أهالي السودان الغربي بما هو معروف عند المغاربة في الهندسة ونقوشها، والخط والأعجام الحروف وترتيبها، ويظهر ذلك فيما تحفل به

جدران المساجد بالمنطقة من خطوط مختلفة، وما تتحلى به رسوم وآيات قرآنية حيث أن النقوش التي وجدت بالمساجد كان يستخدم فيها الخط الكوفي والخطوط الهندسية في كتابة الآيات القرآنية وهذا أثر مغربي واضح[9].

وقد وصف القلقشندي ذلك بقوله: " ... وكتاباتهم بالخط العربي على طريق المغاربية"

واتضحت هذه الطريقة في النصوص العربية المصورة والكتب المنشورة مثل: تاريخ "الفتاش"، و"تاريخ السودان"، وغيرها من خصائص هذه الكتابة أن نقطة حرف الفاء توضع في أسفل الحرف (ف) كما تستبدل بنقط حرف القاف نقطة واحدة، توضع فرق الحرق هكذا (ف)، وهذا بجانب رسم الحروف التي تختلف قليلا عن الرسم المعروف في بعض نقاطه، ويقرب ممّا نعرف بالخط الكوفي[10].

ولا يزال إلى اليوم العديد من الكلمات العربية مستخدمة في بلاد السودان الغربي في نواحي شتى من مظاهر الحياة، فنجدها مستعملة في الحياة الدينية والعلمية وفي مجال القضاء والمكاتبات الرسمية وحتى في أسماء المدن والإسلام، ويورد إبراهيم طرخان أمثلة لذلك ففي الحياة الدينية توجد كلمات عربية مثل: الله أصبحت (يالا)، و(يالف)، عن الولوف والسنغاي، والفولانين، والديولة والصوصو، و(الحمد الله) صارت ( هانة للايا) في السنغال وإمام صارت ( اليمام) أو ( اليمامي) في شتى بلاد غرب إفريقيا[11].

ويذكر أن عدد الكلمات الإفريقية التي تكتب بالخط العربي عبر قرون وإلى يومنا هذا تناهز الثلاثيين لغة، على رأس كبريات اللغات التي تتكلم عشرات الملايين اليوم في إفريقيا من هذه اللغات ما يلي:

– **لغة الهوسا**: التي تتحدث في نيجيريا والنيجر، والكاميرون، والسودان، وغانا وبلاد أخرى في غرب إفريقيا ويزيد عدد المتكلمين بها على خمسين مليون نسمة .

– **لغة الفلاني**: بلهجاتها المختلفة (وهي فلاني) وفلفلدي، باغرمي وبورورو، وفوتا جالون، (وتسمى فوتافولا) وبولار، وماستينيا، وهي تتحدث في المنطقة التي تمتد من السودان في السنغال ويبلغ عدد المتكلمين بها 5 – 6 ملايين نسمة[12].

– **لغة السواحلي**: التي تتحدث في تانزانيا وكينيا ويوغندا والكونغو ويبلغ عدد المتحدثين بها نحو 50 مليون نسمة.

– **لغة مانديكان**: وهي الهوسا والسواحلي والفلاني، في انتشار اللهجات (وتسمى باناما)، وديانغركا وكالونغو (كاكوورو)، وماساسي، ونيلماسا، وسامونر، وتورو خاسونكس، وهي تتحدث في سيراليون وغانا وليبيريا وفولتا العليا وغينيا

– **لغة سوننكي**: وتسمى إيفا دياكانكي، وماركام سراكول وسراولي، وتوباكي، وواكوري، وغادياغا، ولهجتها أزير ويوزوو تتحدث في ماي، والسنغال، وموريطانيا، وغامبيا

– **لغة ولوف**: وهي تتحدث في السنغال وغامبيا.

–**لغة تمني**: وهي تتحدث في سيراليون.

– **اللغة الصومالية**: وهي تنتشر في الصومال وجزء من كينيا وجزء من الحبشة، والصومال وهو القطر المسلم الوحيد في إفريقيا شرقها وغربها، يتحدث جميعهم لغة واحدة .

ومن اللغات التي كتبت بالحرف العربي في الخمسينات من هذا القرن هي: الدينكا والزاندي والباري والمورو اللاتوكا، وكذلك الشلك والتنوير والمورلي والأنواك، وسيبقيان كتب اللغة النوبية في شمال السودان بالحرف العربي[13].

ويتمثل الهدف من كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي في ما يلي:

– المحافظة على التراث الإفريقي الحضاري واستمراره

- التعبير عن أغراض الحياة العصرية، التعليمية والدينية والتعليمية وأغراض الحياة اليومية.
- الاتصال بمصادر الحضارة العربية والإسلامية
- محو الأمية الحضارية والمساعدة على التنمية المحلية
- أن يكون من الميسور الطباعة به على دلالات الكتابة والمطباع[14].

وهكذا كانت اللغة العربية في بلاد السودان الغربي لغة المراسلات بين الملوك والسلاطين في مالي وسنغاي، وبين العالم العربي الإسلامي وقد نجحت اللغة العربية في أن تكون لغة تخاطب بين الجماعات وبين العالم العربي الإسلامي، المختلفة اللسان كالطوارق والهوسا والفولان، واليوروبا، وذلك إلى جانب لغاتهم الأصلية، وهكذا أوجدت اللغة العربية تربة خصبة في بلاد السودان الغربي وظلت كذلك، حتى عصر الاستعمار الأوروبي الذي حارب وبكل الأشكال انتشار اللغة العربية[15] وحرفها العربي، ومحاولة إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي لكتابة هذه اللغات[16].

وخلاصة القول أن العلاقات الثقافية بين شعوب القارة شمال الصحراء وجنوبها ثابتة ومتواصلة، رغم كل الظروف والمحاولات، وأن أساليب الاستعمار ودسائسه صارت مفضوحة لا تخفى على أحد وخير عون نقدمه لإفريقيا هو التركيز على تنمية هذه العلاقات الثقافية ونشر اللغة العربية، ولا يكفي ذلك غزوا فكريا بل تعاونا وتضامنا وتبادلا، واهتماما مشتركا عن طريقة الأخذ والعطاء، وتبادل الخبرات[17].

[1] مسعود عمر محمد علي، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، ط01،منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2003، ص120.

[2] عبد السلام أبو سعد: العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها، ،ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1998، ص27.

[3] نفسه، ص28 .

[4] نفسه.

[5]- السعدي عبد الرحمان:تاريخ السودان،الترجمة الفرنسية لهوداس،باريس،1981م، ص4.

[6] عمر مسعود علي: المرجع السابق ص120.

[7] نفسه، ص 121 .

[8] إصلاح محمد البخاري حمودة ،آثار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تمبكتو غدامس نموذجا، 13-17م، ط01، دار الكتب الوطنية، 2004 ص ص 107 – 108.

[9] مسعود عمر محمد: المرجع السابق ،ص 121.

[10] مسعود عمر محمد: المرجع السابق ،ص 122.

[11] نفسه، ص73 .

[12] يوسف الخليفة أبوبكر: الحرف العربي واللغات الإفريقية، منشورات المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس 1985، ص 168 .

[13] نفسه، ص 169 .

[14] يوسف خليفة أبوبكر: المرجع السابق، ص ص 172- 173.

[15] مسعود عمر محمد علي: المرجع السابق، ص 124 .

[16] عبد السلام أبو سعد: المرجع السابق، ص29.

[17] نفسه، ص30 .